

وبعد أن أهدى إليها هذه الخيانة البشعة، كما كانت تخدمه من قبل حين كانت ترجو حبه، وحين استيأست من حبه، ولكنها لم تكن تنتظر أن تنتهي به القسوة إلى الخيانة. ويجب أن نعتزف بأن «جلنار» مضت في حياتها وفي عملها كما كانت تمضي من قبل لم يُظهر أحد من الأسرة على أنها محزونة أو يائسة، إمَّا لأنها لم تظهر حُزنًا ولا يأسًا، وإمَّا لأن الأسرة لم ترد أو لم تستطع أن ترى عليها مظاهر الحزن واليأس.

إنما هي امرأة واحدة لم تستطع أن تُقيم في الدار، ولا أن تحتل هذا البؤس الأليم، وهي نفيسة التي طلبت في حياءٍ يُمازجه الذهول أن تزور ابنتها سميحة، وودَّت لو أنَّ جلنار في صحبتها، ولكن «مُنَى» أجابتها في قسوة هادئة: تستطيعين أن تزوري ابنتك إن شئت، فأما جلنار فلن تستغني عنها الدار في هذه الأيام.

وقد أثرت الأم البائسة أن تُفارق ابنتها على أن تراها في هذا العذاب البغيض، وكذلك خلت الدار حتى من هذا الشعاع الضئيل الذي كان ينفذ إلى قلب الفتاة من حنان أمها البائسة، فيشيع فيه شيئًا من الطمأنينة والراحة، ولم يبق لها إلا وجه أبيها الذي كان يبتسم لها على استحياء؛ لأنه كان يقدر بؤسها في أعماق ضميره، ويقدر قسوته عليها وتقصيره في ذاتها، ولكنه لم يكن يستطيع أن يظهر لها أو لغيرها من ذلك شيئًا، فاتخذة سرًّا بينه وبين الله، يستغفر الله منه، ويستعينه على احتماله إن استطاع أن يخلو إلى نفسه، وما أقل ما كان يستطيع أن يخلو إلى نفسه! وأقبل مع ذلك ذات يوم شيخ متقدم في السن من أصدقاء خالد يكاد يكون تربًا له — وكان هذا الشيخ قد فقد أهله منذ حين — أقبل إلى خالد ذات يوم يخطب جلنار، ولم يدر أحد أدفعته الرحمة إلى هذه الخطبة أم دفعته إليها الحاجة إلى من يُؤنس وحدته، أم دفعه حرصه على أن تزداد الصلة بينه وبين صديقه متأنَّةً وتوثيقًا، ولكنه خطب الفتاة إلى أبيها على كل حال، ووجد خالد في هذه الخطبة روحًا من الله يُخفف عنه بعض ندمه، ويغسل عن نفسه بعض ما علق بها من الإثم والحب، فوعد صديقه خيرًا على أن يشاور ابنته، ثمَّ خلا إلى الفتاة بعد أن أذن زوجه بالأمر بهذه الخطبة في صوت هادئ لا يخلو من اضطراب، وفي ابتسامة متكلفة لا تخلو من حزن، ولكن الفتاة استمعت له مُطرقة، ثمَّ أجابته دون أن ترفع رأسها إليه قائلة: ليس لي في الزواج أرب، وما أحب أن أفارق هذه الدار. فلما أراد أبوها أن يُحاورها في ذلك رفعت إليه رأسها باسمه في صوتها الذي لم يَحُلْ من عنف: ومن ذا الذي يقدم إليك وضوءك وقهوتك في الصباح والمساء؟ ثمَّ تولت عنه معرضة وقد استيقن أنه لن يظفر منها بشيء؛ فلما أعاد حديثها على زوجه قالت «مُنَى» في صوت ساخر بعض